

فلسطينيو ٤٨ وعهد جديد في السياسة الاسرائيلية..!

نظير مجلي*

*** أهم نتائج الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة للكنيست الـ ٢٠ وأفضلها للفلسطينيين، هو فوز بنيامين نتنياهو برئاسة الحكومة وتشكيله حكومة يمين أكثر تطرفا، وتشكيل القائمة المشتركة وفوزها بـ ١٣ مقعدا.
** .. لكن مهمة الحفاظ على "القائمة المشتركة" ليست بالأمر المفروغ منه ولا تعتبر مهمة سهلة. فهناك من يعتبرها خطأ فادحا يسعى لـ "تصحيحه". وهناك من يرى فيها خطرا على كيانه فيستعد لمحاربتها. وتقصد القوى العربية بداخل هذه القائمة، وليس فقط جهات اسرائيلية*

ما من شك، في ان تشكيل "القائمة المشتركة"، يعتبر حدثا تاريخيا في معركة جماهيرنا العربية الفلسطينية في اسرائيل وعهدا جديدا في السياسة الاسرائيلية. ولا يبالغ أولئك الذين يعتبرونه حدثا تاريخيا أيضا في حياة الشعب الفلسطيني كله. ففكرة الانسجام بين جميع الأحزاب العربية الوطنية تقريبا، تحت سقف تنظيمي واحد، هي طموح كبير لشعبنا المكوي بنيران الفرقة والتمزق. وقدرة مجموعة من السياسيين الفلسطينيين المتصارعين على النفوذ، أن يترفعوا عن خلافاتهم العديدة والمديدة ويضعوا برنامجا سياسيا موحدا لهم يلتزمون بتطبيقه معا، هي مكسب وطني كبير. والأهم منه، صيانتة وتعزيزه. وهذا ليس بالكلام العاطفي، بل إنه إشارة إلى زبدة التجربة الكفاحية لهذه الشريحة من شعبنا الفلسطيني، الذي نعرف ونعترف بأنه يتوق اليها بشغف. وبالرغم عن ذلك، علينا ومنذ البداية التوضيح للجميع: هناك من يرى في هذه التجربة جرما ويريد إفشالها. ولا نقصد السلطة الاسرائيلية ولا حتى اليمين المتطرف فحسب، بل قوى من أبناء جلدتنا ومن داخل صفوف الأحزاب المكونة للقائمة المشتركة. ولذلك، فلا بد من تقويم عميق للتجربة حتى نعرف مدى صمودها، وإلى أين ستقودنا.

* كاتب وباحث من فلسطين

ولننجل أولاً أن "القائمة المشتركة"، هي ليست حزبا واحدا وليست جبهة موحدة ولا حتى صيغة شبيهة بمنظمة التحرير الفلسطينية، لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون. إنها تحالف وثيق لأربعة أحزاب سياسية وطنية ولكن متصارعة فيما بينها لدرجة الخصومة والعداء، مرت عليها فترات كان الواحد منها يسعى لتحطيم الآخر. ولكي نكون أكثر صراحة، فقد اضطرت هذه الأحزاب اضطارا إلى خوض الانتخابات بقائمة مشتركة لأن تحالف اليمين الاسرائيلي في الكنيست السابقة مرر قانونا جديدا يرفع نسبة الحسم في الانتخابات من ٢٪ إلى ٣,٢٥٪، ما يعني ان الحزب الذي لا يتمتع بتمثيل بهذه النسبة يسقط ولا يمثل في الكنيست(١). وبما أن الجمهور العربي في اسرائيل، الذي مل الصراعات الحزبية، طالب الأحزاب بخوض الانتخابات بقائمة واحدة أو اثنتين على الأكثر، استجاب قادة الأحزاب وسعوا، فتمكنوا من تشكيل قائمة واحدة، مع التأكيد أن كل حزب فيها يواصل النشاط الحزبي المستقل ولكن بتنسيق كامل في العمل البرلماني وبأقصى ما يمكن من العمل الشعبي المشترك.

وقد نجحت التجربة في الانتخابات. وتشير بدايات العمل البرلماني، حتى الآن، إلى التوافق والتوفيق في توزيع المسؤوليات.

علامات النجاح

لقد حظيت "القائمة المشتركة" بدعم شعبي واسع منذ البداية. وحتى أولئك الذين كانوا يحذون خوض الانتخابات بقائمتين منفصلتين، متنافستين ومتعاونتين، فوجئوا بانجازاتها.

فأولا: بمجرد خوض المعركة في قائمة واحدة، ارتفعت نسبة التصويت الى حوالي ٦٦٪، وهذه أعلى نسبة مشاركة منذ سنة ١٩٩٩، إذ شارك ٧٠٪ في حينه. ولكن في الانتخابات التالية العام ٢٠٠٣ هبطت الى ٦٢٪ ثم في العام ٢٠٠٦ هبطت الى ٥٦٪ ثم في العام ٢٠٠٩، إذ هبطت الى ٥٤٪ ثم في العام ٢٠١٣ حيث ارتفعت قليلا الى ٥٧,٣٪. وهذا الهبوط المنهجي في نسبة المشاركة، كان تعبيرا عن الاحباط والملل من الأحزاب العربية من جهة ومن تعامل الأحزاب اليهودية والحكومة المبني على التمييز العنصري، من جهة ثانية. وتشكيل المشتركة شحن الناس بالتفاؤل الكبير. فتدققوا نحو صناديق الاقتراع.

ثانيا: القائمة المشتركة حصلت على حوالي نصف مليون صوت (٤٤٦ ألفا و٥٨٣ صوتا) تشكل ما يعادل ٨٥٪ من أصوات الناخبين العرب وبضعة آلاف من المصوتين اليهود وبالتالي على ١٣ مقعدا (من مجموع ١٢٠ مقعدا)، وتحولها الى القوة الثالثة في الكنيست، كل هذا يعتبر انجازا ضخما وغير مسبوق.

ثالثا: الكنيست تعاملت مع كتلة القائمة المشتركة، بما يليق بوزنها، لدى توزيع المناصب الداخلية. فلديها عضوان في لجنة المالية، التي تعتبر أهم اللجان البرلمانية بعد لجنة الخارجية والأمن. وقد تنازلت المشتركة بإرادتها الحرة عن العضوية في لجنة الخارجية والأمن لصالح اضافة العضو الثاني في اللجنة المالية. وحظيت برئاسة إحدى اللجان الأساسية في الكنيست، وهي لجنة مكانة المرأة. وتمثلت وفق عددها في رئاسة الكنيست وبقية اللجان. وفتح الباب أمامها لأوسع تعاون مع الأحزاب الأخرى، وليس فقط في المعارضة، بشكل لم يسبق له مثيل، أكان ذلك على صعيد سن القوانين أو طرح مواضيع البحث أو غيرها.

رابعا: تشكيل القائمة المشتركة أثار اهتماما غير مسبوق في العالم الغربي كله، خصوصا بعد ان خرج رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بتحذيره المفزوع لمصوتي اليمين: "العرب يتدفقون بالألوف في حافلات منظمة وممولة من الخارج، حتى يكملوا المؤامرة لاسقاط اليمين". فلأول مرة التفتت دول أوروبا إلى قضية العرب في اسرائيل كقضية جدية وراحوا يعتبرونها مقياسا للديمقراطية الاسرائيلية المشوهة تجاه العرب. وحتى الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، هاجم نتنياهو على هذه المقولة (ولكنه حرص على الصمت عليها الى بعد انتهاء الانتخابات كي لا يتهم بالتدخل المباشر فيها)، فقال إن الولايات المتحدة لا تستطيع التعامل مع اسرائيل بشكل عادي مع هذه السياسة التمييزية ضد العرب. وقد جاءت تصريحاته هذه بعد ثلاثة أسابيع من انعقاد جلسة بين رئيس القائمة المشتركة، النائب أيمن عودة، وبين السفير الأمريكي في تل ابيب، دان شايرو. ثم عاد أوباما وتكلم عن الموضوع في مقابلة مع القناة الثانية للتلفزيون الاسرائيلي.

خامسا: هناك من يرى أن تجربة القائمة المشتركة يمكن أن تصبح مثلا يحتذى لشعوب أخرى، ولا يستبعد أن فوز الأكراد في الانتخابات التركية اعتمد على هذه التجربة. فقد تحالفت كل القوى الكردية في قائمة مشتركة لكي تتجاوز نسبة الحسم العالية (البالغة في تركيا ١٠٪)، وتعاونت مع قوى اليسار التركية ومع القوى النسائية وغيرها.

سادسا: حتى نتنياهو لم يستطع تجاهل القائمة المشتركة، فدعا رئيسها الى الاجتماع به وتباحث معه في احتياجات المواطنين العرب من الحكومة. فوعد بالتجاوب مع الطلبات التي طرحها أمامه أيمن عودة في عدة قضايا محققة، أخطرها قضية البناء والتنظيم، حيث بدأت مجنزرات الهدم بعد أيام من الانتخابات تهدم البيوت في النقب وفي كفر كنا وفي اللد وغيرها، وكذلك قضية الميزانيات.

سابعا: إضافة إلى نجاح القائمة المشتركة، أظهر أيمن عودة رئيس القائمة خطابا سياسيا جديدا أحدث دهشة في المجتمع الاسرائيلي اليهودي. فقد راح يتكلم عن التعاون اليهودي العربي وعن التعاطف

مع الفقراء اليهود والاستعداد للتعاون مع أية قوة يهودية في سبيل تحقيق المساواة وقال إنه يسير على طريق مارتن لوثر كينغ، الثائر الأمريكي الأسود الذي فرض على نظام البيض الأمريكي أن يتخلى عن سياسة الفصل العنصري مع السود. وراح يطرح ميثاقا للمساواة يقترح جمع تأييد أكثرية في الكنيسة حوله، واجتمع بمبادرته مع مسؤولين في مختلف الوزارات لتغيير سياستها تجاه العرب. وأعلن ان خطابه السياسي يركز على الروح الايجابية في التعامل مع المجتمع اليهودي، بهدف تقويض سياسة اليمين الذي يعتمد على تخويف هذا المجتمع من العرب. ويتحدث عن وقوفه الى جانب المظلومين في المجتمع اليهودي، وهناك مظلومون كثيرون أمثال اليهود الأثيوبيين واليهود الشرقيين والعمال البسطاء والمسنين والفقراء وأوساط واسعة من اليهود الحريديم. ويحاول تكريس مفهوم قبول الآخر لدى جميع الشرائح الاجتماعية في الوسط اليهودي. وإطلاعهم على سياسة التمييز والقمع المنتهجة باسمهم ضد المواطنين العرب وضد الشعب الفلسطيني. وفي كل ذلك لم يتخل عودة عن روحه الوطنية وطروحاته التي لا تتزعزع حول ضرورة التخلص من الاحتلال ومواقفاته ورفض اساليبه العنصرية والتصدي لسياسة التهويد والاستيطان والحروب العدوانية المتكررة ضد قطاع غزة وما يسبقها ويعقبها من حصار وإلى جانب كل ذلك ضرورة مواصلة الكفاح لاقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل.

المستقبل

قلنا إن تشكيل القائمة المشتركة جاء رغما عن الأحزاب العربية وليس بإرادتها. ومع انها جميعا، تحدثت عن رغبتها في تشكيل قائمة واحدة، فإنها في خطابها الداخلي كانت تفضل خوض الانتخابات الاسرائيلية بقائمتين: الأولى تضم الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، بقيادة محمد بركة (ثم تنازل لصالح أيمن عودة في الانتخابات الداخلية في الجبهة) والحركة العربية للتغيير (بقيادة احمد الطيبي) والحزب الديمقراطي العربي (بقيادة طلب الصانع)، والقائمة الثانية تضم الحركة الاسلامية (بقيادة مسعود غنايم) والتجمع الوطني (بقيادة جمال زحالقة). ولكن بركة عمل بكل قوته على خوضها في قائمة مشتركة واحدة تضم الجميع. ونجح. وكان يفترض أن يتأس بركة هذه القائمة، ولكنه سحب ترشيحه في الانتخابات الداخلية للجبهة، فانتخب مكانه أيمن عودة. وجاء ذلك في سياق تغيير ثلاثة من مجموع أربعة نواب للجبهة (حيث تنحى مع بركة كل من النائب د. حنا سويد والنائب د. عفو اغبارية).

واليوم، يسود الشعور بأن استمرار القائمة المشتركة هو مصلحة وطنية شاملة للمواطنين العرب،

وحتى للقوى الديمقراطية اليهودية. فهذه القائمة تخلق أجواء مريحة في الشارع وتخفف التوترات الحزبية والشقاق وتفتح أبواب الأمل نحو تعاون أوسع وأنجع، يفضي في النهاية الى أكبر تعاون جماعي بين الأحزاب.

ومع ذلك، فالقسم الأكبر من معارضي هذا التحالف، ينتهزون الفرصة لفكه وفي أقرب وقت ممكن. هم لا يعلنون ذلك صراحة، انما يغلفونه بحجج وتذرعَات أُخرى. فبعضهم يدعون انهم لا ينسجمون مع الخطاب السياسي الجديد الذي يطرحه أيمن عودة. فعلى سبيل المثال، هاجمه عزمي بشارة، مؤسس حزب التجمع الذي غادر البلاد واستقر في قطر بعد ان أبلغته المخابرات الاسرائيلية انها تشبه بأنه أوصل معلومات الى حزب الله. فراح يلّمح الى ان عودة يتملق اليهود ويحاول التقرب منهم بشكل زائد عن الحد. وقال في مقابلة مع إذاعة "الشمس" في الناصرة (٢): "ما نستطيع أن نفعله هو أن نقول رأينا، وأن نعارض في البرلمان فقط. وأي مقارنة بين العرب في إسرائيل والسود في أميركا هي باطلة. أميركا هي دولة المواطنين، أما إسرائيل فهي دولة يهودية تحتفل حتى اليوم بتدمير شعبنا. مسؤولية القيادة شرح الصورة للمواطن العربي. ومقارنة العرب بالسود هي مقارنة غير صحيحة، لأن الأسود يريد أن يكون مواطنا متساويا في دولة الأمة الأميركية وفي إسرائيل الوضع يختلف، لأن إسرائيل تعرف نفسها وترى نفسها كدولة اليهود" (٣). وحوّل التعاون مع شرائح مجتمعية مثل المتدينين والأثيوبيين والشرقيين في إسرائيل من أجل التغيير، قال بشارة إن: "مخاطبة المجتمع الاسرائيلي أمر لا بد منه، والتعامل مع شرائح واسعة أمر لا بد منه أيضا، ولكن يجب أن يكون تبادلا أو ندية. نحن لا نعاني من عقدة نقص ونحاول دائما أن نثبت أننا ديمقراطيون، بل نحن نتعامل بنديّة مع الآخر. الأثيوبيون يطالبون بحقوقهم لأنهم يهود وليس لأنهم مواطنون في الدولة، فإذا تضامنت معهم من أجل حقوقهم فإن هذا ينفي حقوق العرب، وأنا لست مهاجرا جديدا من أفريقيا، ولست يهوديا. أنا أريد الحصول على حقوقي لأنني مواطن. وإذا بلورنا هذا الخطاب بشكل صحيح وديمقراطي فسيتم قبوله، وهذا سيسهر المؤسسة الصهيونية بالإحراج" (٤).

الانتقاد شرعي بالطبع، ولكنه هنا يأتي في سياق التمهيد لمرحلة قادمة يتم فيها تبرير تفكيك الشراكة. ولكن، إذا كان عزمي بشارة قد استخدم كلمات مبطنة من موقعه في قطر، فإن النائب باسل غطاس، الذي يحاول خلافة جمال زحالقة في قيادة الحزب، يتكلم بشكل صريح أكثر. فقد نعت خطابه السياسي بـ "الناعم" وطالبه بتعديله. وحذره من "عدم السماح لنفسه بانزلاقات سياسية". وقال: "خطاب عودة يسترعي انتباه الإعلام العبري، كونه يتودد بمخاطبة الإسرائيليين، بينما خطاب التجمّع مختلف عن هذا الأسلوب في التعبير والمصطلحات والمساواة بين القامع والمقموع". وكشف غطاس قائلاً: "تحدثنا وتناورنا مع عودة والمهم أن هناك مرجعية سياسية

مشتركة وإن اختلفت الموسيقى وأحياناً بالمصطلحات. سيكتشف زميلنا أيمن والجميع أن أسلوبه لن يغني ولن يضمن من جوع. حتى هذا المجتمع الاستيطاني لن يقبل أسلوب أيمن، وهو الأكثر تودداً وحلاوة ورقة. بالأمس فقط قال عضو الكنيست عن إسرائيل بيتينو شارون غال إن أيمن عودة سياسي خطير وأخذ عليه زيارة المناضل مروان البرغوثي" (٥).

ويأتي هذا الموقف ليتوج سلسلة مقالات تهاجم أيمن عودة في صحيفة "فصل المقال" الصادرة عن حزب التجمع وسلسلة هجمات منظمة على الشبكات الاجتماعية من أحزاب أخرى. كما تبرز في ذلك صحيفة "صوت الحق والحرية"، الناطقة بلسان الحركة الاسلامية. فيكتب فيها الدكتور ابراهيم ابو جابر: "أولئك الذين حكمت الظروف والمتغيرات على المجتمع العربي في الداخل قيادتهم له، مغرورون بطروحاتهم وأفكارهم ومشاريعهم، وما هم في المحصلة إلا مراهقون سياسيون، بخاصة في هذا التوقيت وهذه الأوضاع التي نعيشها. إن هؤلاء ممن يبنون أبراجا في الهواء، تنقصهم الخبرة والحكمة السياسية، وقريبو عهد بهذه "المهنة"، يظنون خصومهم مغفلين أو هواة سياسة ومناصب، أو ممن يباعون ويشترتون سياسيا وحزبيا. إن الخصوم، أيها القوم، متمرسون يفقهون ما يقولون، ويحسبون كل شيء بحسابات الحاضر والمستقبل، غير ناسين الماضي، مصالحهم ومصالح جماهيرهم فوق كل اعتبار". ويتابع: "هذا الصنف من السياسيين الجدد واحد من اثنين؛ إما أنهم مراهقون سياسيا، أو أنهم مفلسون.. فلا يعقل أن يكون السياسي ذا وجهين، متلونا، وطنيا وثوريا وطلائعيا مرة، وأخرى متعايشا ومسالما ومتضامنا مع رموز الآخر إلى أبعد الحدود! هؤلاء السياسيون ينطبق على تصرفاتهم المعوجة هذه مفهوم "الاستجداء السياسي"، يظهرون في صورة من يعمل على تغيير قواعد اللعبة بأسلوب جديد، ظانين أنهم بذلك يخدمون قضية الداخل الفلسطيني أكثر، لقناعات حزبية خاصة تربوا عليها صغارا، فلا ينفكون يراهنون على سراب سبقهم إليه الكثيرون ممن امتهنوا السياسة عقودا من الزمن، فخاب ظنهم، وكفروا بكل هذه المسرحيات والوعود العرقوبية الجوفاء. قيادة سياسية مراهقة كهذه ليس لها مكان في صفوف الداخل الفلسطيني" (٦).

وينبغي أن تضاف الى كل ذلك، رؤيا اليمين الاسرائيلي الحاكم وقوى التطرف على اختلافها، التي تريد للعرب في اسرايل ان يطلقوا خطابا سياسيا متشنجا وعدائيا حتى يبرروا قمع العرب وانتهاج سياسة عنصرية ضدهم. ولعل أبرز تعبير عن ذلك، جاء في أقوال جودي نير موزيس شالوم، زوجة نائب رئيس الحكومة، سلفان شالوم، التي أعلنت قبل الانتخابات أن "أيمن عودة انسان خطير في نظري. فالرسائل التي يبثها تتيح للمواطن الاسرائيلي أن ينسجم معها" (٧) وفي اقوال وزير الخارجية السابق رئيس حزب اسرايل بيتنا، أفيغدور لبرمان، الذي صعق من لقاء نتياهو مع عودة وطالبه بإلغائه وقال: "أخطر ما في أيمن عودة هو لغته السلسة. فهو يخفي وراءها أهدافا

خطيرة لاسرائيل والشعب اليهودي. إنه أخطر من حماس" (موقع القناة السابعة الناطقة بلسان المستوطنين - ١٥ ايار/مايو ٢٠١٥).

المعركة

من هنا فإن اقامة "القائمة المشتركة" وتجربتها الناجحة في الانتخابات وفي الأسابيع الأولى بعد الانتخابات، لم تكن بالشيء المفروغ منه ولم تقم بسهولة. ويمكن القول إنها لم تعرف يوم راحة واحدا. ولذلك فإن مهمة الحفاظ عليها والاستمرار في نجاحها تعتبر مهمة أصعب.

لكن استقبالها من الجمهور العربي لفلسطيني ٤٨ ومن بقية شرائح الشعب الفلسطيني بالحماس الشديد واعتبارها أملا وشغفا، يجعل هذه المهمة شبه مقدسة. بيد أنه لو تركنا العواطف وتناولنا المسألة من باب الواجب العملي، فإن قادة "القائمة المشتركة" انتخبوا ليمثلوا من منحهم صوته بإخلاص ويحققوا لهم الانجازات. وهذا هو امتحانهم الأساسي.

لقد منح الجمهور للقائمة المشتركة هذا العدد الضخم من الأصوات، فتمكنوا من إدخال ١٣ نائبا الى الكنيست، لتصبح القوة الثالثة بعد حزب الليكود (٣٠ مقعدا) و"المعسكر الصهيوني" (٢٤ مقعدا). والقضية ليست قضية عدد، لأن تاريخ السياسة الاسرائيلية يذكر جيدا وجود قوة برلمانية عربية من خمسة نواب فقط، في عهد حكومة اسحاق رابين، حققت انجازات باهرة للمواطنين العرب في اسرائيل وكذلك لشعبنا الفلسطيني بأسره. كان ذلك في تموز من سنة ١٩٩٢. رابين فاز بالحكم واقام حكومة أكثرية ضئيلة من ٦٢ نائبا. وكان قد وضع على أجندته تخفيض امتيازات الأحزاب الدينية اليهودية، فخشي ان ينسحب حزب شاس (٦ نواب في حينه) من الحكومة فيسقطها. لذلك توجه الى الكتلتين العربيتين: الجبهة بقيادة توفيق زياد وعضوية تمار غوجانسكي وهاشم محاميد، والحزب العربي الديمقراطي بقيادة عبد الوهاب دراوشة وطلب الصانع. وطلب منهم دعم حكومته من الخارج.

وفي حينه أكد توفيق زياد انهم وضعوا أمام رابين شرطين: خطة حقيقية للمساواة التامة للعرب بجدول زمني واضح على مدى خمس سنوات، وتوجه حقيقي لمسيرة سلام مع الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية. وقد فوجئوا بموافقة رابين على ذلك. وفوجئوا أكثر عندما نفذ رابين التزامه. فرصد ميزانيات للمساواة ودخل في المفاوضات المباشرة مع منظمة التحرير، التي أسفرت عن اتفاق اوسلو.

ففي تلك الفترة حقق ٥ نواب مكاسب كبيرة. واليوم، يطلب الناخبون العرب مكاسب كبيرة من

القائمة المشتركة التي تضم ١٣ نائبا. فهل تستطيع ذلك؟

بالطبع، الظروف في اسرائيل تغيرت وتراجعت إلى الوراء مع فوز اليمين المتطرف بالحكم. وهذا الفوز، بحد ذاته هو مكسب للفلسطينيين، لأنه حكم غاشم، يكشف الوجه الحقيقي لتيار الحكم الاسرائيلي ويرفض السلام ويدخل في مواجهة مع العالم وفي صدام وقح مع الادارة الأمريكية. ولكن، حتى تثمر المواجهات الدولية مع الحكومة، تحتاج القائمة المشتركة الى بذل جهود كبيرة لتحقيق مطالب ناخبها في تحسين أوضاعهم. وأول هذه الجهود، هو ايجاد لغة تخاطب مشتركة مع الحكومة، رغم تطرفها وعصبيتها وعدوانيتها. ولذلك، وافقت القائمة المشتركة على لقاء رئيس الوزراء اسحق رابين ووضعت لائحة بمطالبها منه، في مقدمتها وقف سياسة هدم البيوت ومنح تراخيص للبيوت المهتدة بالهدم (وعددها حوالي ٥٠ ألف بيت)، وفي سطرها الأخير مطلب "وضع خطة خماسية لتصفية التمييز في الميزانيات"، وما بين هذا وذاك مطلب رصد ميزانيات أكبر للتعليم والاسكان والمواصلات والثقافة والرياضة والفنون.

وعندما سئل أيمن عودة عن موضوع السلام، قال إن حديثه مع نتنياهو في هذه القضية كان بمثابة سخرية. فهو ليس رجل سلام. ولكنه أبدى تفاؤلا من كلام نتنياهو عن المساواة. وقال: "سمعت كلاما جيدا، وایجابيا ولكن لنتنظر الترجمة العملية".

وبالطبع، فإن الحوار مع نتنياهو لم ولن يكون الوسيلة الوحيدة لعمل القائمة المشتركة. فقد كان أول نشاط لها، مسيرة مشي من النقب الى القدس بهدف التوضيح أن النقب على رأس أجندتها وأنها تفتش عن وسائل نضالية جديدة غير تقليدية، وبعد شهر أعلنت الاضراب العام للجماهير العربية احتجاجا على سياسة هدم البيوت. وجنبا الى جنب مع ذلك، اجتمع أيمن عودة وغيره من رؤساء القائمة مع مسؤولين أجانب عديدين، زاروا اسرائيل في الشهرين الأخيرين، حيث ان هذا الحراك السياسي الجديد للأحزاب العربية بات يثير اهتماما عالميا جديا. كما اجتمع مع عدد من السفراء الأجانب في تل ابيب، يحثهم على إعلاء قضية العرب في اسرائيل في قنواتهم الدبلوماسية. وبرز لقاءه مع دان شبيرو، سفير الولايات المتحدة، قبل ثلاثة أسابيع من تصريحات الرئيس باراك اوباما، التي قال فيها ان موقف نتنياهو من الناخبين العرب في اسرائيل مزعج ولن يكون ممكنا التعامل مع حكومته بشكل طبيعي بعد هذا الموقف (٨).

إن هذا النشاط المميز، والذي يحمل الكثير من الأساليب الجديدة، والخطاب السياسي الذي يرافقه ويتسم بالحكمة والذكاء ويستند الى مبدأ تجنيد أكبر عدد من اليهود الى جانبه، يبشران بأمل كبير لطالما وضعه فلسطينيو ٤٨ أمامهم ورغبوا في انتخاب سياسيين يحسنون أداءه. فإذا نجح، سيكون

من الصعب على أولئك الذين يحفرون الحفر لإسقاط هذه التجربة ان يحققوا رغبتهم في إفشالها وتفكيكها. والجميع يدركون اليوم ان نجاح التجربة سيكون له انعكاس ليس فقط على حياة ونضال فلسطينيي ٤٨، بل سيتسع مداه ليؤثر في السياسة الفلسطينية عموما. لذلك، فلا بد من أن تنجح وأن تفتح عهدا جديدا في السياسة الفلسطينية، على الساحة الاسرائيلية الداخلية وعلى الساحة العربية والفلسطينية عموما.

هوامش

(١) في الكنيست الـ ١٩، التي عملت من سنة ٢٠١٣ وحتى ٢٠١٥ حصلت القوائم البرلمانية الفاعلة في اللوسط العربي على النتائج التالية: القائمة العربية الموحدة والتي تضم الحركة الاسلامية الجنوبية والحركة العربية للتغيير والحزب الديمقراطي العربي على ٣,٦٥٪ وتمثلت في أربعة نواب (ابراهيم صرصور وأحمد الطيبي ومسعود غنايم وطلب أبو عرار)، والجهة الديمقراطية للسلام والمساواة على ٣٪ وتمثلت هي أيضا بأربعة نواب (محمد بركة وحنا سويد ودوف حنين وعفو اغبارية)، والتجمع الوطني الديمقراطي على ٢,٥٦٪ وحصلت على ثلاثة نواب (جمال زحالقة وحنين زعبي وباسل غطاس).

(٢) إذاعة الشمس ٩ أيار/ مايو ٢٠١٥

(٣) هو يعلق بذلك على أقوال أيمن عودة حول مارتن لوثر كينغ ونضاله من أجل المساواة للسود في الولايات المتحدة. (٤) هنا ينتقد بشكل مبطن مشاركة أيمن عودة في مظاهرة الاثيوبيين اليهود، الذين تظاهروا ضد الاعتداء الذي قام به رجلا شرطة اسراييليان أيضا البشارة على جندي اسراييلي اثيوبي وإعلانه انه يؤيد مطلب الاثيوبيين بالمساواة.

(٥) صحيفة "القدس العربي" الصادرة في لندن - ٩ ايار/مايو ٢٠١٥

(٦) صحيفة "صوت الحق والحرية" - ٢٠ نيسان/ ابريل ٢٠١٥

(٧) تصريحات للقناة العاشرة في التلفزيون الاسراييلي في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٥

(٨) تصريحاته لصحيفة "أطلنتيك" في ٩ ايار/ مايو ٢٠١٥